إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات أكتوبر ٢٠٢١ م

حياة الغربة

"لأني أنا غريب عندك. نزيل مثل جميع آبائي" (مز٣٩:١٢)

سأل أخ أنبا بيمن ذات مرة" كيف يجب أن أتصرف في المكان الذي أعيش فيه؟ أجاب الشيخ: أينما كنت تعيش ضع في قلبك أنك غريب ونزيل، ولا تطلب أن تُسمَع كلمتك، وبهذه الطريقة، سوف تعيش في سلام". لقد طُلِب من إبراهيم أن يغادر وطنه وعائلته ومنزل والده من أجل الله. قيل له أن يترك حياته السابقة من أجل بدء حياة جديدة مع الله. نفس الشيء بالنسبة للراهب. ينتقل إلى عائلة جديدة ويصبح ابن الدير. لماذا قال الله لإبراهيم أن يغادر وطنه وعائلته ومنزل والده؟ قيل لإبراهيم هذا حتى يتمكن من عبادة الرب في البرية. نتذكر أن إبراهيم كان دائماً مع الخيمة والمذبح .الخيمة هي رمز لحياة الغربة والمذبح رمز لحياة العبادة[٦].

نقرأ في العبرانيين: " في الإيمان مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض. فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطناً. فلو ذكروا ذلك الذي خرجوا منه، لكان لهم فرصة للرجوع. ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل، أي سماوياً. لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى إلههم، لأنه أعد لهم مدينة" (عب١١: ١٣-١٦)

أول فضيلة للراهب هي فضيلة أن يكون غريباً عن العالم ونزيلاً، وألا يكون له أي شيء مشترك مع أمور الدنيا بل أن ينحل منها كما لوكانت أموراً غريبة عنا مثلما فعل التلاميذ المباركين: "طافوا في جلود غنم وجلود معزى، معتازين مكروبين مذلين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض" (عب ١١: ٣٧-٣٨). لقد تكلموا بالفعل عن أنفسهم كغرباء، ولكن القديس بولس قال عن نفسه ما هو أكثر من ذلك: لأنه لم يقل عن نفسه أنه غريب فقط، ولكنه قال أنه مات عن العالم والعالم مات له. لقد قال: "لقد صُلب العالم لي وأنا للعالم". لقد كان القديسون غرباء ونزلاء. كيف وبأية طريقة؟ وأين يعلن إبراهيم أنه غريب ونزيل؟ ربما في الواقع حتى هو نفسه اعترف بذلك. ولكن داود اعترف أنه كان غريباً كما كان كل آبائه. لأن أولئك الذين يسكنون في الخيام هم أولئك

[٦] البابا شنودة عن الحياة الرهبانية.

الذين اشترواحتى أماكن الدفن مقابل المال، ومن الواضح أنهم كانوا غرباء بمعنى ما، لأنهم لم يكن لديهم حتى مكان لدفن موتاهم.

ماذا بعد ذلك؟ هل كانوا يقصدون أنهم غرباء فيما يتعلق بتلك الأرض الموجودة في فلسطين؟ ليس الأمر كذلك بأي حال من الأحوال: ولكن فيما يتعلق بالعالم بأسره :وهذا له سبب؛فهم لم يروا في ذلك أياً من الأشياء التي كانوا يرغبون فيها، ولكن كان كل شيء غريباً بالنسبة لهم .كانوا يرغبون في تدريب أنفسهم على الفضيلة :ولكن هنا في العالم كان يوجد الكثير من الشر، وكانت الأمور غريبة جداً بالنسبة لهم .لم يكن لديهم صديق، ولا معارف، باستثناء البعض القليل فقط.

لكن كيف كانوا غرباء؟ لم يهتموا بالأشياء الدنيوية وهذا لم يظهر بالأقوال، بل بالأفعال ذاتها . كيف وبأية طريقة؟

لقد قال لإبراهيم: "أترك بلدك، (ذلك الذي يبدو بلدك) واذهب إلى بلد ينتمي إلى الآخرين". ولم يلتصق (بأصدقائه ومنزله) لكنه تخلى عنه غير مكترث كما لو كان على وشك مغادرة أرض أجنبية . قال له: "قدم ابنك"، وقدمه كما لو كان ليس لديه ابناً؛ كما لو أنه جرد نفسه من طبيعته، هكذا قدمه. الثروة التي حصل عليها كانت مشتركة بين جميع المارة،لقد حسب كل ذلك كلا شيء .لم يكن ليسلمh لأماكن الأولى للآخرين :أن يلقي بنفسه في الأخطار؛ أن ينتصر في الأماكن الأولى؛ أن يعاني من مشاكل لا حصر لها. إنه لم يبن أية منازل رائعة، لم يكن يتمتع بأية رفاهية، والتي تنتمي جميعها إلى أشياء هذا العالم. ولكنه عاش في جميع النواحي باعتباره واحداً من سكان المدينة التي لها الأساسات ؛ لقد أظهر الضيافة، والحب الأخوي، والرحمة، والتحمل،و احتقار الثروة والمجد الحالي، وكل شيء آخر[٧].

"هناك شيء اسمه المنفى، وهو تخلي لا رجعة فيه عن كل شيء في محيط المرء المألوف و الذي يعوق المرء عن تحقيق المثل الأعلى للقداسة .المنفى هو قلب منضبط، حكمة غير معلنة، وفهم غير معلن، حياة خفية، ومُثُل ملثمة. إنه التأمل غير المرئي، والسعي إلى أن نكون متواضعين، والرغبة في الفقر، والشوق إلى ما هو إلهي .إنه تدفق للحب، إنكار للتفاخر، عمق الصمت.

يقول الرب: "ليس لنبي كرامة في وطنه" (يو٤:٤٤). من الأفضل أن نكون ألا يكون عمل تخلينا من أجل المجد الباطل. المنفى هو انفصال عن كل شيء، لكي يتمكن المرء من الالتصاق بالرب بشكل كامل. إنه طريق مختار من الحزن الشديد. المنفى هو ملجأ، هروب من جميع العلاقات مع الأقارب ومع الغرباء. لا تنتظر نفوساً أسيرة للعالم عندما تسعى نحو العزلة في المنفى. على أي حال، الموت

[٧] يوحنا ذهبي الفم – عظات على رسائل بولس الرسول: الرسالة إلى العبرانيين

يأتي عندما يكون أقل توقعاً. لقد وضع الكثيرون لأنفسهم هدفاً أن ينقذوا المهملين والكسالى ولكنهم انتهوا بأن فقدوا أنفسهم . لقد أصبحت الشعلة داخلهم خافتة مع مرور الوقت. لذا، إذا كانت لديك النار، اهرب، لأنك لا تعرف متى يمكن أن تُطفأ، تاركة إياك وقد تقطعت بك السبل في الظلام. ليس كل واحد منا مدعواً لإنقاذ الآخرين. يقول الرسول القديس: "فإذاً كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله". ويعلن أيضاً: "فأنت إذاً الذي تعلم غيرك ألست تعلم نفسك؟"إنه كما لو كان يقول: "أنا لا أعرف عن الآخرين، ولكن ينبغي علينا بالتأكيد أن ننظر إلى ما يجب أن نفعله بأنفسنا".

الانعزال جيد وأمه هي المنفى. عندما ينسحب شخص ما من العالم من أجل الرب فإنه لا يعود مرتبطاً بالممتلكات، حتى أنه لا ينبغي أن يبدو مخدوعاً بالأهواء. إذا كنت قد تركت العالم، فلا تبدأ في طلبها. وإلا فستعود أهواؤك إليك. حواء لم تكن ترغب في أن تُطرد من الجنة، في حين أن راهب سوف يتخلى عن وطنه عن طيب خاطر. كانت لتشتهي مرة أخرى الشجرة المحرمة، لكنه رفض الخطر المؤكد القادم من القرابة من الجسد.

حواء لم تكن ترغب في أن تُطرد من الجنة، في حين أن راهب سوف يتخلى عن وطنه عن طيب خاطر .كانت تشتهي مرة أخرى الشجرة المحرمة، لكنه رفض الخطر المؤكد القادم من القرابة الجسدية. اهرب من أماكن الخطيئة كما لو كان من الطاعون .عندما لا تكون الثمرة في مجال البصر لا تكون لدينا رغبة كبيرة لتذوقها. علينا أن نحذر من طرق اللصوص الماكرة. إنهم يأتون إلينا مقترحين علينا أننا لا ينبغي علينا ترك العالم فعلياً. ثم، من جديد، نتدبر أمورنا بحيث نعيش بعيداً عن أقاربنا لبعض الوقت. إننا نختبر قليلاً من الشفقة، والشعور بالذنب، وضبط النفس. وبعد ذلك، تأتي الأفكار الفارغة علينا طالبة أن تعيدنا للأماكن التي كنا نعرفها قبلاً. إنها تخبرنا أننا مستمعون جيدون، وأننا قدوة، وأننا معونة بالنسبة لأولئك الذين شهدوا على أفعالنا الشريرة في السابق.

إذا حدث أن كنا نمتلك فصاحة وإطلاع جيد، فإنهم يؤكدون لنا أنه من الممكن أن نكون منقذين للنفوس ومعلمين للعالم. إنهم يقولون لنا كل هذا حتى نتمكن من نثر الكنوز التي جمعناها في البحر أثناء وجودنا في الميناء. لو كان الأمر هكذا، فمن الأفضل أن نقتدي بلوط وليس بزوجته بالطبع. إذ تعود النفس إلى المناطق التي جاءت منها فإنها تكون مثل الملح الذي فقد طعمه، بل في الواقع مثل عمود الملح الشهير ذلك. اهرب من مصر، اهرب ولا تعود .إن القلب الذي يتوق إلى الأرض هناك لن يرى أورشليم أبداً، أرض اللاهوى.

يكون البعض عند مغادرة المنزل مملوئين بالبراءة و أرواحهم نظيفة. ثم يرغبون بشدة في العودة، معتقدين، ربما، أنهم قد يجلبون الخلاص للآخرين، بعد أن حققوه بأنفسهم. المنفى الحقيقي، على

الرغم من امتلاك المعرفة، هو كمثل أن يجلس شخص أجنبي بين رجال يتكلمون بلغات أخرى. إذا كنا قد سلكنا الحياة الانفرادية، فمن المؤكد أننا لا ينبغي أن نمقت علاقاتنا الخاصة أو أماكننا الخاصة، ولكن يجب أن نكون حذرين لتجنب أي ضرر قد يأتي من هذه. هنا، كما هو الحال في كل شيء يكون المسيح هو معلمنا. لقد قال له البعض: "هوذا أمك وإخوتك يطلبونك"، وعلى الفور أعطانا المسيح مثالاً على الانفصال الذي كان مع ذلك خالياً من أية مشاعر قاسية بقوله: "أمي وإخوتي هم أولئك الذين يفعلون مشيئة أبي الذي في السموات". لذا دع والدك يكون الشخص القادر والراغب في العمل معك في تحمل عبء خطاياك، وأمك هي الندم القوي بما يكفي لغسل قذارتك. دع أخاك يكون رفيق والمنافس في السباق الذي يؤدي إلى السماء، وليكن التفكير المستمر في الموت هو زوجك. دع ذريتك التي تتوق لها تكون أنين قلبك. فليكن جسدك عبداً لك، وأصدقائك القوى المقدسة التي يمكن أن تساعدك في ساعة الموت إذا أصبحوا أصدقائك. "هذا هو جيل الطالبين الرب". إذا كنت تتوق إلى الله، فأنت تدفع بعيداً عنك حبك للعائلة. أي شخص يقول لك أنه يمكن الجمع بين هذه التوقات يخدع نفسه "لا أحد يستطيع أن يخدم سيدين". لا تدع دموع الآباء أو الأصدقاء تملأك بالشفقة.

لا يوجد مثال على التخلي أعظم من ذلك الرجل العظيم إبراهيم الذي سمع الأمر: "إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك". لقد أطاع وذهب إلى أرض غريبة ذات لغة غريبة. وهكذا يكرم الرب كل من يتبع مثال التخلي هذا. يكون التعلق بأحد من أقاربنا أو حتى بشخص غريب عنا صعباً لدرجة لا يمكن التعامل معها. إنه قد يرجعنا بالتدريج إلى العالم ويبرد نار انسحاقنا. قد يحتاج الطائر في بعض الأحيان أن يطير ضد الرياح لكي يصل إلى عشه، ولا يمكنه أيضاً أن ينظر إلى السماء والأرض في نفس الوقت. بالمثل، لو لم تعطي ظهرك بالكلية لأقاربك وللآخرين بالفكر والجسد فإنك لن تستطيع تجنب المخاطرة بنفسك[٨]. "لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة" (عب١٣:١٤). تلك الأرض التي نعيش فيها هي ليست وطننا فنحن لسنا إلا غرباء ونزلاء. حياتنا ليست إلا رحلة إلى الأبدية. وبغض النظر عن طول إقامتنا في البرية، فإننا سوف نرجع إلى بيتنا الأبدي. نحن لسنا إلا الحمامة التي أطلقها نوح ولم تستطع أن تجد راحة حتى رجعت إلى الفلك[٩].

لقد أصبحنا غرباء باختيارنا فدعونا لا ننخرط من جديد في أمور العالم.

---

[٨] يوحنا الدرجي – السلم – الدرجة الثالثة عن المنفى

[٩] حبيب جرجس – سر التقوى

إنني لا أريد شيئاً من العالم لأن العالم أفقرمن أن يعطيني. لو كان ما أريده موجوداً في العالم، لصار العالم سماءً. ولكنه لايزال أرضاً كما أراه. لا يوجد فيه سوى الأمور المادية.. إنني في الواقع أبحث عن الأمور السمائية، وعن الروح القدس، وعن الله.

إنني لا أريد شيئاً من العالم لأنني لست من العالم. أنا لست تراباً كما يظنون، لكنني نفخة إلهية. لقد كنت مع الله منذ الأزل ووضعني الله على الأرض. ولكنني سوف أتركها بعد قليل وأعود إلى الله. بالتالي، أنا لا أريد شيئاً من الأرض. "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب" (يو١٦:٢٨). هذا العالم يأخذ أكثر مما يعطي. إنه يستعبد أولئك الذين يرغبون فيه. بالتالي، لا أريد شيئاً منه.

إنني لا أريد شيئاً من العالم فكل ما أريده هو أن أتخلص منه، وأن أتحرر منه ومن الجسد ومن الأرض! أريد أن أرجع إلى الله كما في السابق لكي أعود من جديد نفخة مقدسة غير مدنسة بأي شيء دنيوي.

إنني لا أريد شيئاً من العالم لأنني أطلب الأمور الأبدية الخالدة وليس في العالم أي شيء خالد. كل ما في العالم زائل، بل حتى العالم نفسه سوف يمضي إلى فناء. أنا لا أطلب أموراً زائلة.

إنني لا أريد شيئاً من العالم لأنني أعلى منه. أنا ابن الله على صورته ومثاله. أنا هيكل للروح القدس ومكان سكنى الله. أنا المخلوق الوحيد الذي يتناول جسده ودمه الأقدسين. أنا أعلى من العالم والعالم يطلب مني أن أعطيه لأنني أمتلك مفاتيح السماء والأرض. أنا من أراد الله في صلاحه وتواضعه المحب أن يصنع مني نوراً للعالم وملحاً للأرض (مت٥: ١٣-١٤).

إنني لا أريد شيئاً من العالم لأنني أريد أن أحيا مثل آبائي الذين لم تكن الأرض تستحق وطئة قدميهم. لقد عاشوا هكذا دون أن يحصلوا على شيء من العالم. ولكنهم كانوا على الجانب الآخر، بركة للعالم. فمن أجل صلواتهم أرسل الله الماء على الأرض، ومن أجلهم حفظ الله العالم حتى اليوم.

إنني لا أريد شيئاً من العالم لأنني أريدك أنت وحدك يا الله. أنت من أحبني حتى المنتهى وبذلت نفسك عني. أنت من كونتني من العدم ولم تكن محتاجاً إلى عبوديتي بل كنت أنا المحتاج إلى ربوبيتك. بالتالي، أريد أن أنطلق من العالم وأتحد بك يا من أعطيتني عطية علم معرفتك[١٠].

دعونا لا نريد شيئاً من هذا العالم، ونعترف أننا غرباء ونزلاء على الأرض. عندما نقول تلك الأمور، فإننا نعلن بوضوح أننا نطلب وطناً. ولو كنا نذكر في ذهننا تلك المدينة التي خرجنا منها، لكانت لنا فرصة للرجوع. ولكننا الآن نبتغي وطناً أفضل أي وطناً سماوياً. بالتالي، لا يستحي الله أن يُدعى إلهنا لأنه أعد لنا مدينة. طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح.

---

[١٠] البابا شنودة – انطلاق الروح: لا أريد شيئاً من العالم